مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421

تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

الاستدلال المنطقي في القرآن بين الخطابة والجدل

الأستاذة :حسيني ربيعة
جامعة الجزائر 2.

ملخص :

القرآن الكريم بلاغ للعالمين من غير إكراه قصد الاستمالة والتّأثير لذلك أودع اللّه في لغة القرآن ألوانا من الأساليب الإقناعيّة والطرائق الحجاجيّة ووظّف في مستويات النّص ظواهر لسانيّة ،صوتيّة ،إيقاعيّة،تركيبيّة ،دلاليّة ،تداوليّة .نحاول في المقال أن نتتبّع بعض الظّواهر الخطابيّة وهي :أسلوب القياس وأسلوب التّمثيل وقوانين المحادثة والتي تنضوي تحت بلاغة الخطاب القرآني .

الكلمات المفتاحيّة :الاستدلال ،الحجاج ،الخطابة ،الجدل .

Résumé :

Le coran est un message universel sa fonction communicative et son aspects discursif impliquent que le discours coranique et d'une densité qui ne cesse de développer de riches fonctions affiliez a plusieurs niveaux textuel : phonétique ,rhtyhmetique ,prosodique rhetorique , syntaxique,semantique,pragmatique .

Pour cela et a travers cet article nous essayons de découvrir quelques types de ses composants comme : l'analogue, expressions figuratif, les lois de la conversation qui sont conçues comme des formats stylistique.

Mot clés : phonétique, analogue, rhétorique, controverse.

1. مفهوم شاييم بيرلمان وامبراطوريّة البلاغة

يصرّح شاييم بيرلمان (perelman) في كتابه الخطابة الجديدة أنّ ظهور نظرية الحجاج كان ضرورة ملحّة لأنّ المجتمع الديمقراطي (في الغرب) الذي يتغذّى على

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

الحريّة ، و يسمح بتعددّ الآراء يحتاج إلى وسيلة الإقناع القائمة على الاستمالة و التأثير بحدّ الخطاب لا حدّ السّيف حتى جاز لنا "أن نطلق على القرن العشرين قرن الترويج والدّعاية"[1]بامتياز وقد لمس بيرلمان عزوف أصحاب الفكر عن موضوع الخطابة الجديدة والواقع يثبت فعاليته و حاجة الأفراد و المجتمعات إليه حيث يرى أنّه لايخطر ببال أحد أن ينكر أنّ قوّة الإقرار والمحاججة علامة مميّزة للإنسان العاقل،وقد تجاهل المناطقة ومنظّري المعرفة دراسة الوسائل التي تقام عليها الأدلّة)[2]. لذلك اقترح "دراسة جادّة لهذا الموضوع من ذلك العودة إلى أولئك الكتاب اليونان و اللاّتين الذين درسوا فن الكلام المقنع ، البراعة الفنية في التشاور والمناقشة إنّ مثل هذه الدراسة يمكن أن نطلق عليها بحق الخطابة الجديدة"[3] و لا غرو في ذلك لأنّه كما يذكر أرسطوفي معنى من معاني "الخطابة هي النظير المقابل للجدل[4]. ولمّا كان الحجاج أهم الوسائل الإقناعيّة الدّالة على منزع إنساني سام هو احترام حرية الغير بل إشراكه و استدراجه ليذعن و يسلم بما هو موضوع خلاف أو اختلاف أو نزاع عن اختيار ينبع من قناعاته ويصدر من وحي اختياراته انكبّ بيرلمان يدرس ويتفحّص و يشتغل على الممكن والمعقول لأنّه كما يقول"لانحاجج ضد الواضح ،مجال المحاججة المرجّح،الممكن ،المحتمل ،مادام هذا الأخير يفلت من يقينيّة الحساب "[5].

---

[1] د \جميل عبد المجيد ، البلاغة والإتصال ، القاهرة ،دار غريب للطّباعة والنّشر، بدون طبعة ، 2000 ، ،ص 115 .

[2] ch , perelman et t,olbrechts – ty teca , la nouvelle rhetorique traité de l'argumentation, p1 , 1958,, paris 11ere édition ,tome ,presses universitaires de France .

[3] د \ جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتّصال، ص 115.

[4] أرسطو ، الخطابة ، ترجمة عبد القادر قنيني ،المغرب ، إفريقيا الشرق ، بدون طبعة ، 2008،ص9 .

[5] -ch.perlman,opcit,p1.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

وإذا كان الباحث جميل عبد المجيد يرى أنّ " اعتماد الاستدلال المنطقي في الجدل أشد وأوضح من اعتماده في الخطابة ، ممّا قد يدعو إلى القول بأنّ تقارب الحجاج مع الجدل .أولى من تقاربه مع الخطابة "[1]بخلاف بيرلمان "يؤثر تقارب الحجاج مع الخطابة لسببين أساسيين : الأول المقامية ..... ثانيا التسليم عن اقتناع"[2].

فبالنسبة للمقاميّة يكون "الاستدلال في الجدل غير شخصي و إنّما هو منطقي محض لا اعتبار فيه لخصوصية المتلقي و المقام الاجتماعى و الثقافي الذي يحيا فيه"[3] لأنه بحسب بيرلمان فإن ما يعرضه " السائل في الجدل يمكن أن يوجّه لكلّ شخص متضلّع من البحث الفكري ، فالاستدلال في الجدل لا يعقد بحسب نمط اجتماعي ، و إنّما يوجه إلى سامع كوني"[4]على خلاف " الخطابة فهي مقاميّة إذ تبنى على خصوصية المتلقي بمختلف جوانبه العقليّة و النفسيّة ، وما يحيا فيه من مقام اجتماعى و ثقافي. لذا فالخطيب في حاجة ماسّة إلى معرفة الإنسان و شؤون الإجتماع و السياسّة و يرى بيرلمان أنّ ربط الحجاج بالخطابة لهذه المقاميّة ، يؤكدّ الحقيقة التي تقول : يتغيّر الحجاج بحسب المتلقى ، فالمتلقى هو محور الحجاج ، لذا يعدّ البعض نظرية الحجاج نظرية مركزية المتلقي"[5].

أمّا التّسليم عن اقتناع فهو من طبيعة الجدل ، إذ " إنّ الجدل بحكم انطلاقه من مشهورات مسلّمات ، يجعل المتلقي مضطرا إلى التسليم بالنتائج ومن ثم يأتي التسليم تسليما على سبيل الإلزام الذي هو الغاية القصوى للجدل كما يقول ابن سينا وبهذا يمارس الجدل مع المتلقي نوعا من القصر و القهر أما الخطابة

[1] جميل عبد المجيد،البلاغة والاتصال،مرجع سابق،صفحة109.
[2] المرجع نفسه،ص110،109.
[3] المرجع نفسه،ص109.
[4] Ch ,pereleman,la nouvelle rétorique traité de l'argumentation,opcit,p41.
[5] جميل عبد المجيد،البلاغة والاتصال،ص110.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

فهي بحكم انطلاقها من مشهورات مختلف عليها محتملات تنأى بالمتلقى من وضعه في موضع خضوع و اضطرار ، فهو حين يسلم بالنتائج فإنّما يسلم بها بعد مناقشة للمنطلقات ،المقدّمات و اقتناعه بها"[1].

. إلاّ أنّنا لا نأخذ الرّأيين بمأخذ الأمر المسلّم به ، ولا نؤيد تصوّرهما بصفة مطلقة ، لأنه لو نظرنا إلى الكتابة في مجال الوحي يظهر لنا القرآن بطبيعته الخطابية ومنزعه التخاطبي وكذا الجدلي حوى كثيرا من أساليب الحجاج في مقام الجدل والخطابة على حدّ سواء للأسباب الآتية

أ. السّبب الأوّل

يرجع إلى كون القرآن موجّه إلى الإنسان "*ومأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون*"[2]. والإنسان في فطرته منزعا صوب الجدل ،أقرّه المولى عزّوجلّ في أكثر من موقع "...وكان الإنسان أكثر شيء جدلا"[3] "أولم يرالإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين"[4] ولما كان الناس مراتبا ، اقتضى الخطاب القرآني أن يدرج الحجاج في مقام الجدل والخطابة على حدّ سواء ، مادامت الغاية هي الدّعوة إلى التسليم بعقيدة التوحيد إجمالا وصنع الحقيقة الإيمانية، سواء أكان الإنسان من العامة أو من أصحاب الفطر الذكية والهمم العالية، أو من المناطقة والعلماء وغيرهم من الخاصة من غير إكراه ، بل عن طريق الحجاج وشتى أساليب الإنجاز الحجاجي سواء ما تعلّق بالأساليب الدلاليّة القوليّة ،أو أساليب البناء الطّبيعيّة أو الصّناعيّة.

[1] المرجع نفسه ،ص110.
[2] سورة سبأ،الآية 28.
[3] سورة الكهف،الآية 54.
[4] سورة يس الآية77.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

ثمّ لأنّه وكما هو معلوم فلقد نهانا الله عن الجدل العقيم ووجّهنا صوب الجدل بالتي هي أحسن "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن "[1] لأنّ المقصدية التوحيدية هي أسّ الغايات ، بل إنّ الإيمان كما يقول ابن سينا" والبحث عن الموجود يقتضي البحث عن أسبابه القصوى، عن مسبب الأسباب ومبدأ المبادئ ،عن المفارقات للمادة أصلا ، فموضوعه أشرف الموضوعات ، وهو بهذا أشرف العلوم ، بل إنّ العلوم كلّها تعتمد عليه وتستمدّ منه يقينها وقوّتها ، وهو يلتقي معها في أنه يحصل كمال النفس الإنسانية ، ويهيئها للسّعادة الأخرويّة "[2] فوجب تخيّر

أحسن الجدل وأقومه ،بل أحسن سبله ، خاصّة وأنّ الحسن[3] عندما ذكر مرات عديدة في القرآن كانت دلالته إجمالا تلقي بظلالها على معنى يوحي بفكرة التّناغم وتشير إلى مفهوم الكمال ،وإلى التّوافق ،والإحكام ، والإنسان بالفطرة يميل إلى كلّ ماهو منسجم .

ب-السّبب الثاني

[1] سورة العنكبوت الآية 46.

[2] ابن سينا ، الشفاء ، الإلاهيّات ، مراجعه وتقدم له د / ابراهيم مدكور، تحقيق الأب قنواتي ، سعيد زايد ، مصر القاهرة،الهيئة العامة
لشؤون المطابع الأميرية ،بدون طبعة ،1960،ج1،ص10.

[3]-"نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت قبله من الغافلين" سورة يوسف ، الآية3

-"الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابهامثاني تقشعرّ منه جلودالذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر اللّه ذلك هدى اللّه يهدي به من يشاءومن يضلل اللّه فماله من هاد"سورة الزّمر ،الآية 23.

-"ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنّني من المسلمين"سورة فصلت ، الآية33. .

- "وقولوا للناس حسنا...."سورة البقرة ،الآية 83.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

وهو أنّه لمّا عرضنا مبدأي: المقاميّة و التسليم عن اقتناع على محكّ النّقد التّطبيقي وجدنا عدم تطابق بين ما في القرآن و رأي بيرلمان لأنه بحسب المقامية (عنده) يكون الاستدلال في الجدل ذا سمت منطقي خالص لا تراعى فيه خصوصيّة المتلقيّ ولا مرتبته الاجتماعية و الثقافية فسامعه كوني.

و الرّأي لا ينسحب على ما ورد في القرآن لأنّ قسما من الاستدلال في الجدل و هو كثير قدّم بدءا لمتلقي تاريخي المتلقي العربي، القرشي، أهل الكتاب من يهود ونصارى في فترة نزول الوحي، ولطالما ردّ القرآن على هذا السائل المجادل الذي كان مخاصما بل خصيما رافضا و مغالطا فحاججه المولى في مقامات كثيرة مفحما ، و مظهرا إيّاه في موقف العاجز في أكثر من مناسبة مع كلّ الفرص التي أتيحت له والإمكانات التي أعطيت ليثبت صحّة مايدّعيه .كأن يأتي بمثل هذا القرآن"أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوامن استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين"[1]"وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين "[2].

و الحال أنّ مثل هذا الاستدلال الإفحامي يجري في الوقت نفسه على متلقي كوني ، ذلك أنّ الإتيان بمثل هذا القرآن بقدر ما أعجز المتلقي التاريخي زمن الرسالة ما زال وسيزال ينسحب و يسري على القارئ الكوني ولأنّه كذلك وكما يقول طه عبد الرحمن " الآيات القرآنية تختص دون سواها بكونها أحدثت ومازالت تحدث تثويرا عقديا جوهريّا لا يمكن أن يحدثه كلام آخر و لو بلغ من الكمال ، و ما ذاك إلاّ لأنّه يرفع مفهوم التّوحيد إلى أعلى درجات التّجريد التي لم يرفعه إليها غيره ، لا سابق ولا لاحق ، اعتبارا لوصف التّعالي المطلق الذي يقوم بالذات الإلهيّة و على هذا فلا نظير

[1] سورة هود الآية 13.
[2] سورة البقرة ، الآية 23.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

للنص القرآني في حداثته اللغوية"[1] إذ العجز في الإتيان بمثله دليل الإعجاز و التفردّ ولأنّ التّثبت من العجزالذي يقود للتّصديق ينبع من النّفس وقد يأتي من التّجربةأوكما يقول أبو يعرب المرزوقي "لأنّ التأكد من صحّة الإعجاز بالعجز توثيق للإيمان ، و لا دليل إلاّ بعد المحاولة"[2].

ج-السّبب الثالث

يرجع السّبب الثّالث إلى كون الاستدلال المنطقي غير شخصي في الجدل بصورة مطلقة و لا بكيفيّة مطّردة لأنّ المولى كثيرا ما أورده في مجالات تتعلّق بدخيلة الإنسان وأبعاده السيكولوجيّة وصارت بمثابة حكم سلبي قاطع متّفق عليه يطلق في مقامات مذمومة ووصله إمّا إلى طبيعة نفسيّة يحكمها الهوى كغلبةالكبر والعجب مثلما حصل لقارون الذي تكبّر لمّا أعطاه الله المال الكثيروتمنّى قومه مكانته وزعم هو أنّ عنديته كانت سبب غناه والشّاهد أنّ الشّرقاوي أطلق عليه " جدل الفرحين "[3] " ...إذ قال له قومه لا تفرح إنّ اللّه لا يحبّ الفرحين " "..قال إنّما أوتيته على علم عندي ..." " ...قال الذين يريدون الحياة الدّنيا ياليت لنا مثل ماأوتي قارون إنّه لذو حظ عظيم.[4] أو وصل الجدل بمبّررات واهية وأسباب غير موضوعيّة كالرّغبة في تحقيق مآرب فوريّة فينزل إلى جدل خصومة أو يصير عنادا والذي يعدّ من دواعي الجدل غير الموضوعي ،و هو اللّجاج و الخصومة لأنّ الإنسان كما أسلفنا ذكره بطبيعته خصيم "ما ضربوه لك إلاّجدلا بل هم قوم خصمون"[5].

---

[1] طه عبد الرحمن ، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلاميّة ، الدّارالبيضاء ،المغرب ،المركز الثقافي العربي ، ط1 ،2006،ص199.

[2] أبو يعرب المرزوقي ، في العلاقة بين الشعر المطلق و الإعجاز القرآني ،بيروت لبنان،دار الطليعة ، ط1، 2000،ص125 .

[3] د/حسن الشرقاوي ،الجدل في القرآن، مصر ،منشأة المعارف المصريّة ، بدون طبعة ،ص42.

[4] سورة القصص، الآيات 76، 78 ،79.على التّوالي.

[5] سورة الزخرف،الآية 58.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

وقد يعلق الجدل بدواعي بيئيّة كهيمنة الفكر التّبعي الذي يقدّس التقاليد و العادات فيما يصطلح عليه في الفكر الأرسطي"سفسطات الأكثرية"[1].كمسلك حجاجي لمظهر سوفسطائي دارج في المخاطبات القرآنيّة أورده لأنّ الواقع يقرّ بوجودها.فصار من الثّوابت يجيب بها المبلّغ إليهم على رسلهم حيث نجد الجواب نفسه وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة التي أنزلت فيها الرّسالات ،لأنّ الإنسان بطبعه يأنس إلى العادة وعصيّ على التّغيير أوردها تعالى على لسان الإنسان بصوت الجمع ("بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمّة و إنّا على آثارهم مهتدون" "قل أولو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم قالوا إنّا بما أرسلتم به كافرون)"[2]."

و إذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون"[3]وعندما ننظر إلى هذا الصّنف من الأقاويل الذي يصنّف تحت مسمّى" سفسطة ما جرى به العمل" نجد أنّ القرآن الكريم أغناها لمّا تخطّاها وأضاف لها وسائل أخرى.وبالتّالي لعلّ هذا الثّراء الذي يدلّ على المرونة النصيّة في القرآن بما يتضمنّه من حجاج في تخاطبيته و جدليّته كانت العلّة فيه أنبناؤه على تقنيات خطابيّة أخرى قلّما ينتفي حضورها في طريقة تفكير الإنسان، وفي كيفيّة استيعابه للمدركات ولم يخصّ بها القرآن أقواما أو طائفة حتّى لو كان النّاس طبقات ،ولكلّ طبقة الوسيلة التي تحققّ له الاستمالة أو الإقناع فيما ذهب إليه البلغاء والفلاسفةكالجاحظ الذي قسّم الكلام على أقدار المستمعين،وابن رشد

[1] رشيد الرّاضي ، الحجاج و المغالطة –من الحوار في العقل الى العقل في الحوار ، بيروت ،لبنان ،دار الكتاب الجديد المتحدة، ط،1 ،2010.ص59.

[2] سورة الزخرف ،الآية22، 24.

[3] سورة البقرة ،الآية 170.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

الذي صنّف النّاس إلى أصناف :"الخطابيون ...، أهل التّأويل الجدلي جدليون، ..وصنف أهل التأويل اليقيني هؤلاء هم البرهانيون"[1].

التّقنية الأولى

1-أسلوب القياس

أورد القرآن أسلوب القياس ، وحدّه أنّه تلك "الأقاويل التي يلتمس بها تصحيح المطلوبات في جميع الصنائع الفكريّة ، و تستعمل بالجملة في إثبات الرأي و إبطاله... و.... تسمّى أيضا الدلائل عند قوم"[2] في كثير من السّور والآيات .وكان يعوّل على هذا النّوع من الأقاويل بشكل اطّرادي لأنّه كلّما يخاطب المولى عباده بخصوص الحياة بعد الإماتة إلاّ ويحاججهم في فكرة البعث الشبيهة بالخلق الأوّل على طريقة القياس حتى صارت أحد أهمّ الكيفيات التي تحضر في مثل هذا النّوع من المواضيع التي حيّرت ومازالت تحيّر النّاس باعتبارهم أولئك الذين ينتمون إلى جنس الإنسان ("و يقول الإنسان أإذا مامتّ لسوف أخرج حيّا" "أو لا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل و لم يك شيئا")[3].("و ضرب لنا مثلا و نسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم " "قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم)"[4] ("و قالوا أإذا كنّا عظاما و رفاتا إنّا لمبعوثون خلقا جديدا" " قل كونوا حجارة أو حديدا" " أو خلقا ممّا يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أوّل مرّة)"[5].

---

[1] ابن رشد ،فصل المقال وتقرير مابين الشريعة والحكمة من الاتّصال ،تقديم وتعليق د\ابو عمران وأ\جلول بدوي ،الجزائر،الشركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع ،بدون طبعة،1982 ،ص56.

[2] الفارابي ، المنطق عند الفارابي ، تحقيق و تقديم و تعليق د / رفيق العجم ، بيروت ،دار المشرق بدون طبعة ، 1986،ج2 ،ص 13 .

[3] سورة مريم ،الآيتان 66 ،67.

[4] سورة يس ،الآية78 ،79 .

[5] سورة الإسراء ،الآيات 49 ،50 ،51.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

التّقنية الثّانية

2- أسلوب التمثيل

كان استخدام القرآن الكريم لتقنية الحجاج بالتمثيل التي تعود بنا بشكل عام إلى ظاهرة العدول أو الإنزياح الأسلوبي إجمالا وإن كان يصعب الجزم القول ب" أن العدول في الكلام القرآني ليس لغاية أن يكون هذا الكلام جميلا"[1].لأنّه تعالى لم يربط الحسن بالصياغة فحسب بل خصّه بالمضمون على حدّ سواء ، من ذلك أن القرآن ربط أحسن الحديث بالمتشابه ممّا يعنى أن الحسن موصول إلى العدول أو الإنزياح الذي يتطلّبه التأويل في المتشابه كما تشير إليه الآية " الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربّهم.."[2].

و لمّا كانت تقنية التّمثيل وما يندرج تحتها من العدول تقتضي و القرآن يخاطب جمهورا خاصّا،عامّا ،كونيا على حدّ سواء توسّعا و تنوّعا كان لا بدّ للحجاج وهو للإقناع أن يحقّق هدف الاستمالة والتّأثيرأن يأتي بدوره مستويات ،وبالقدرالذي يتواءم مع مراتب النّاس .

و لكن في الوقت نفسه كان القرآن يتخيّر آلية تجمعهم على كونهم يأنسون للجمال دون أن يمنع ذلك أن يصوّر القبح في صورة بديعة وهو يفسّر لماذا أساليب الحجاج التي هي من قبيل الاستدلال المنطقي وردت في مقام الجدل و الخطابة على حدّ سواء في القرآن لصحّة مداليله ولكون" الكلام القرآني كلاما حجاجيا في

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،بيروت لبنان، دار الفارابي ، ط1، 2010،ص 604.

[2] سورة الزّمر ،الآية 23.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

جوهره"[1]من ذلك مثلا أنّ المولى عندما خاطب المتفكّرين ، و النّاس، معشر السّامعين ، ليقرّب لهم ما تشابه عندهم من دوال كالدّنيا - وذلك على سبيل الاستدلال - وبشكل أدقّ بخصوص مفهوم سرعة انقضاء الدّنيا إنّما كان الحجاج قوامه تقنية التّمثيل ، فقدّمت ثلاثة مداليل للدّال الواحد وعلى أكثر من هيئة وكلّها صحيحة.وصحّتها تؤهّلها أن تكون أحد أنواع الاستدلال المنطقي غير الصّوري استخدمت التّقنية لتمثّل الدّنيا طورا بالحصيد ليشار إلى أنّ النّعم لها أوقاتها ثمّ تزول، وتارة بالهشيم ليشارإلى كون الدّنيا مجرّد مسبّب وإن تعذّرأن تفهم هذه الحقيقة واختلط على الإنسان معناها اختلاط لبس وظنّ قربّ إليه بلفظة هشيما، ومرّة بالحطام ليبيّن أنّ خداع الصّورة لا يصدر من خداع البصروإنّما من زوغان الرّؤيا ومسخ الحواس لأنّ صحّة المفاهيم والتّصوّرات تبدأ من سلامة الحواس و وضوح الرّؤية ثمّ يقع التدرّج صوب تراسلها إلى أن تبلغ مستوى عرفنة الحواس وجاء التّصوير في السورالقرآنيّة كالآتي:

-"إنّما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل النّاس و الأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنت و ظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكّرون"[2].

"و اضرب لهم مثل الحياة الدّنيا كماء أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرّياح وكان اللّه على كلّ شيء مقتدرا"[3] .

" اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّا ثم يكون حطاما...."[1].

[1] عبد اللّه صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة،مرجع سابق ، ص 605 .
[2] سورة يونس ،الآية 24.
[3] سورة الكهف ، الآية 45.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

التقنية الثّالثة

3- قوانين المحادثة

قدّم القرآن الكريم ضمن مسلكه الحواري طرائق من السلوك الحواري و هي منهجيات واسعة تستوعبها المقاميّة و التسليم عن اقتناع كسببين يقربان الحجاج من الخطابة إلّا"أنّ هذا التصوّر[المبني على المبدأين] لا يستوعب جميع أنماط الخطاب الحجاجي ، وإنّما يستوعب أو يمثل نمطا واحدا فقط هو فيما [يعتقد جميل عبد المجيد] يطلق كما عنددوجلس[على]حوار الإقناع حينا و المناقشة النقدية حينا آخر"[2] بينما المسلك الحواري الحجاجي في القرآن شاسع .

فلو نظرنا على سبيل المثال إلى طريقة الجدل و التحدّي التي انتهجها خصوم الرّسالة - وكما عرضها القرآن -كانت أساسا خاطئة .استندت إلى بناء معرفي غيرسليم يحجب الحقيقة ويقصي سؤال المعرفة لأنّ الخصوم انطلقوا من حكم مسبق هو بالنّسبة إليهم مبدأ صحيح قام مقام المتّفق عليه والمشهورات بل هو من المسلّم به وبالتّالي فهو غير قابل للمداولة والنقاش أو الأخذ والرّد أرجعه القرآن إلى سبب الجهل فسّره اللّه كالتّالي"بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه"[3].

كما كانت طريقتهم في التفكير تقوم على المداراة والمخاتلة والخداع والتّوهّم تدلّ على تغييب العقل في الحوار وتنتمي إلى"مظاهر من الحوار غير العاقل"[4] لأنّ جلّ كيفيّات الخصوم في التحاور لا تخرج عن كونها"تلك المسالك و الأساليب الحجاجيّة التي يضعها منظروا الحوار ضمن ما يسمّى السّفسطة أو المغالطة و ما يمكن أن

---

[1] سورة الحديد ،الآية 20 .

[2] د/ جميل عبد المجيد ،البلاغة والاتّصال، مرجع سابق ، ص 111.

[3] سورة يونس ،الآية 39.

[4] رشيد الراضي ،الحجاج والمغالطة –من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار،مرجع سابق ، ص 7.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

نصطلح عليه بالحجّة المعوجة"[1] و"لم تعد تشير إلى تلك الممارسة الفكريّة المنحرفة أخلاقيّا و التي تختصّ بها جماعة دون أخرى، بل أصبحت تدلّ على صفة تكوينية في أيّ فاعلية فكرية أو تفاكرية"[2].رغم ذلك فإنّ القرآن التزم بعرضها بصورة موضوعيّة وأمينة لأنّه انطلق من مبدأ أكثر تجذّرا في دخيلة الإنسان ومحبّب إليه مبدأ استشعار الحريّة . ومن النماذج الدّالة هذه المحاورة بين الرسول صلّى الله عليه و سلم و الكفّاروالتي تقف عندالعناد وتصعيد لهجة الخصام بقصد التعجيز لاغير.

لا تدلّ إطلاقا على أنّها تتضمّن مبدأ التعاون في الوصول إلى الحقيقة الإيمانية من قبل الكفّار لأنّهم أساسا انطلقوا من المتناقض وممّا يعدّ خطأأملا ه عليهم مزاجهم بينماالقرآن قدّم لهم نموذجا تخاطبيّا ينطلق من مفهوم الحريّة فكانت المسلّمة في الدّعوة إلى التّوحيد :"لاإكراه في الدّين "الأكثر موضوعيّة لأنّها لا تلزم بل تعرض وتقترح .وبالتّالي ماجاء على لسان النبيّ الكريم حينما ردّ على الكفّار الذين أملوا عليه شروطا لكي يؤمنوايشير إلاّ أنّ الخطاب القرآني تهيّأ له أن يكون مشبعا في خطاطته الحوارية بقواعد هي من صميم تداوليات الخطاب وعلى رأسها المبدأ التداولي الأول للتخاطب : مبدأ التعاون وما يتفرّع عنه لأنّ الحوار الذي جرى بين الطّرفين يبيّن طبيعة الخطاطة التي سارت عليه المحادثة . حيث لم يجب النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم على الشروط الثّمانيّة إلاّ بجمل ثلاث في مقابل الشّروط الكثيرة التي وضعها الكفّارويكون بذلك التزم بقاعدة الكمّ التي تتعلّق بكمّ الخبر عند غرايس وهي :"لتكن إفادة المخاطب على قدر الحاجة"[3].

[1] المرجع نفسه ، ص 7.

[2] المرجع نفسه ،ص16 .

[3] د\طه عبد الرّحمن ،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي ،المركزالثّقافي العربي ،ط1، الدّارالبيضاء ،المغرب ، 1998 ،ص 238.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

("و قالوا لن نؤمن لك حتّى تفجّر لنا من الأرض ينبوعا " " أو تكون لك جنّة من نخيل و عنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا" "أو تسقط السّماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله و الملائكة قبيلا" " أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السّماء و لن نؤمن لرقيّك حتّى تنزّل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربّي هل كنت إلّا بشرا رّسولا" " وما منع النّاس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلاّ أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا" " قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السّماء ملكا رسولا" " قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم إنّه كان بعباده خبيرا بصيرا ")[1].ويظهر وحدة التّبادل سؤال \طلب \وجواب أنّ ترتيب الأقوال جاء على المنوال الآتي

وقالوا

↧

لن نؤمن لك حتّى ←←

↧↧

أ- تفجّر لنا ينبوعا

ب-تكون لك جنّة

ج-تفجّر أنهارا

د- تسقط السّماء علينا كسفا

هـ- تأتي بالله و الملائكة

و-يكون لك بيت من زخرف أو

ز- ترقى في السّماء ولن نؤمن لرقيّك حتّى

ح-تنزّل علينا كتابا نقرؤه

ردّ النبي بإيجابات أخذت صيغة تعليمات أ صدرت إليه من الأعلى عن طريق الفعل الكلامي الطلبي "قل"والتزم تنفيذها عند التّبليغ لأنّها وحي أملي عليه وجاء كالتالي

[1] سورة الإسراء ،الآيات 90 ، 91 ،92، 93 ، 94 ، 95 ، 96 .

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

أ- سبحان ربّي ما كنت إلا بشرا رسولا
ب- ننزّل ملكا رسولا لو كان في الأرض ملائكة يمشون
ج- الله شهيد بيني و بينكم..

. يبدو من نص المحاورةأنّ المجيب (الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم)لم يفرض نفسه على مخاطبيه و تركهم لقناعاتهم أحرارا في الوقت الذي كانوا يتظاهرون بأنّهم كانوا يفاوضونه والحقيقة أنّهم كانوا يراوغونه ومع ذلك لم يلزمهم أن يؤمنوا بدعوته إنّما اكتفى بالتّعجّب من حالهم ولم يسخرمنهم وإنّما صرّح أنّه حيّرته طريقة تفكيرهم ويكون بذلك التزم بما يسمّى بقاعدةالتعفف عند روبان لاكووف "لاتفرض نفسك على المخاطب)[1] .

وعندما دعاهم الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم إلى النّظر في الشروط التي وضعوها له حتّى يحملهم على مراجعتها وظّف متضمّنات القول.لأنّه عندما أثبت لنفسه البشريّة يكون ضمنيّا قدنفى عنها الألوهة وأكّد استحالة الاستجابة لشروطهم كما يكون المسكوت عنه:أنّه يعيب عليهم سوء تقدير المطلوب منه وهو لايصحّ أن يطلب من البشري الإتيان بأفعال لايقدر عليها سوى الإله بيد أن الرّسول ذكره بطريق التّعريض لا التّصريح.وكذلك الحال عندما نفى إمكانية نزول ملك رسول مادام المبلّغ إليهم ليسوا من جنس الملائكة .وبالتّالي عندما استعمل الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم في إجابته السّابقة ظواهر خطابيّة تنتمي إلى التّداوليّات الضمنيّة أو" الإضمارات التّداوليّة "[2].يكون بذلك أخذ بقاعدة التشكّك عند لاكووف:"لتجعل المخاطب يختار بنفسه "[3].

[1] د\طه عبد الرّحمن ،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي ،مرجع سابق ،ص 240.
[2] المرجع نفسه ،ص113.
[3] المرجع نفسه،ص241.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

والقاعدتان تنتميان إلى "مبدأ التّأدّب واعتبار جانب التّهذيب ". كما يمكن أن نضيف أيضا فنقول كانت إجابة الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم تنضوي تحت المبدأ التّداولي الذي ذكره جيوفري ليتش في كتابه مبادئ التّداوليّة وفي الفصل السّادس تحت عنوان" قواعد فن التّأدّب والكياسة " تنتمي إلى" قاعدة الجود والكرم :...تقليل الرّبح للذّات "[1].لأنّه منذ البداية كان يعوّل على الاستراتجيّة التضامنية تمثّلت في حرصه الشّديد على إفهامهم أنّه غير قادرأن يستجيب لشروطهم لأنّ مهمّته التبليغ لا غير.

كماكان الردّ الأخير على الكفّار والذي يتمثّل في تسليم -النبي صلّى اللّه عليه وسلّم -الأمر لله شهيدا بينه وبينهم يشيرإلى ثالث مبدأ تداولي: مبدأ التواجه و اعتبار العمل حيث استندت الآية إلى الخطة التخاطبية التي ترفض التهديدوالقائلة :" ...يمتنع المتكلم عن إيراد القول المهدّد "[2].

و ما يمكن أن نخلص إليه أنّ مثل هذه المبادئ التي جرت عليها المحادثة كفيلة بأن تضعنا في قلب شروط النص الاستدلالي لأنّ " حدّ العلاقة الاستدلالية أنها بنية تربط بين الصور المنطقية لعدد معين من جمل النص"[3] و هو ما بنيت عليه آيات الإسراء السابق عرضها في الجمل الشرطية الثمانية التعجيزية التي يتوقّف عليها تحقق الإيمان عند الكفّار و الجمل التي رد بها النبي صلّى اللّه عليه وسلّم على الكفار هي بمثابة جملة كلية يمكن صياغتها **كالتالي:**

[1] جيوفري ليتش ،مبادئ التداولية ، ترجمة عبد القادر قنيني ، الدار البيضاء المغرب إفريقيا الشرق 2012،ص174.

[2] طه عبد الرحمن ،اللسان و الميزان، ص244.

[3] طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، ط2، الدار البيضاء المغرب ، 2000،ص36.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421
تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

الجملة أ:←" لن نؤمن "
لا تتحقق إلا
بالجملة ب وهي← الشروط التعجيزية و
الجملة ب لا تتحقق إلا إذا كانت
الجملة د ممكنة ←:تنزيل ملائكة في الأرض يمشون وهي غير ممكنة إذا :

فالجملة أ مستحيلة " استحالة تحقق الإيمان "وهو ما يؤكد ما ذهبنا اليه في كون القرآن بطبيعته التخاطبية و الجدلية حوى كثيرا من أساليب الحجاج في مقام الجدل و الخطابة و استطاع أن يرقى بجمل النص كحجاج الى دوال منطقية صورية كما يعاينها المنطق الرياضي. لأنّه يخلومن القصورمن والنّقص ومن الخطأ البشري لعلويّته . ولعلّ هذا هو السّبب الجوهري الذي دفع الفلاسفة التّحليليّين أن يبحثوا عن دوال تكون الأقدر على أن ترقى إلى مستوى النّماذج العليا في طرائق الاستدلال فلم يجدوها في الرّموز التجريديّة ولغة الحساب لذا توجّهوا إلى لغة الإستعمال اليومي ، وأخذوا يوسّعون من حجم المدوّنة إلى أشكال أخرى ويبدو أنّ دراسة اللّغة في النّصوص القرآنيّة تتيح للباحث مجالا أوسع.

المصادر والمراجع :

الكتب بالعربيّة والكتب المترجمة والأجنبيّة.

1-ابن رشد،فصل المقال وتقرير مابين الشّريعة والحكمة من الإتّصال ،تقديم وتعليق د\أبو عمران وأ\جلول بدوي ،الجزائر ،الشركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع ،بدون طبعة ،1982.

2-ابن سينا ،(أبوعلي الحسين عبد اللّه،)الشّفاء ،الإلاهيات ،مراجعة وتقديم ،د\إبراهيم مدكور،تحقيق الأب قنواتي ،سعيد زايد ،القاهرة ،الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة ،بدون طبعة ،ج1.

3-أبو يعرب المرزوقي ،في العلاقة بين الشعرالمطلق والإعجاز القرآني ،بيروت،دار الطليعة للطّباعة والنّشر،ط1 ،2000.

المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0464
E-ISSN :2600-6421

تاريخ الارسال : 2019/03/13، تاريخ القبول: 2019/03/14 ، تاريخ النشر: 2019/03/23

4-أرسطو،الخطابة ،ترجمة عبد القادر قنيني ،الدار البيضاء ،إفريقيا الشّرق ،بدون طبعة ،2008.

5-جميل عبد المجيد، البلاغة والإتّصال ،القاهرة ،دار غريب للنّشر ،بدون طبعة ،2000.

6-جيوفري ليتش ،مبادئ التّداوليّة ،ترجمة عبد القادر قنيني ،الدّار البيضاء ،بدون طبعة،إفريقيا الشّرق ،2013.

7-حسن الشّرقاوي ،الجدل في القرآن ، الإسكندريّة ،منشأة المعارف بالإسكندريّة ،بدون طبعة ،بدون تاريخ .

8- رشيد الرّاضي ،الحجاج والمغالطة ،من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار ،بيروت،دار الكتاب الجديد المتّحدة ،ط1، 2010.

9-طه عبد الرّحمن ،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي ،الدّار البيضاء ،المركز الثّقافي العربي ، المغرب ،ط1 ،1998.

10- ----------،روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلاميّة ،الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ،ط1 ، 2006 .

11----------في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،الدّار البيضاء ،المركز الثّقافي العربي ،ط2 ،2000.

12-عبد اللّه صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة ،بيروت ،دار الفارابي ،ط1 ،2010 .

13-الفارابي ،المنطق ،تحقيق وتعليق د\رفيق العجم ،بيروت ،دار المشرق ،بدون طبعة ،1986،ج2.

14-CH, PERELMAN et OLBRECHTS- TYTECA ,traité De l'Argumentation ,Tome premier ,presses universitaires de France,Paris , 1958 .